

سورة فاطر (الآيات: 1-3)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف مظاهر قدرة الله تعالى من خلال الآيات .
- 2- أن أستنتج الغاية من تذكير الله تعالى عباده بنعمه .
- 3- أن أشكر الله تعالى على نعمه العظيمة .

تمهيد

سورة فاطر مكية وآياتها ست وأربعون ، وقد تضمنت الآيات موضوع الدرس القضايا الكبرى للعقيدة الإسلامية المتمثلة في توحيد الله تعالى وإقامة البراهين القاطعة على وجوده وقدرته في إبداع الكون ، وخلق الملائكة وجعلهم وسائط بينه وبين أنبيائه لتبليغهم رسالاته ووحيه . ثم ذكرت الناس بنعم الله ورحمته بهم ، وحثتهم على شكره ، بالتزام طاعته وطاعة رسوله ﷺ .

فما هي الأدلة القاطعة على قدرة الله تعالى؟ وكيف يسهم استحضار عظمة الخالق في الاستجابة لأوامر الله تعالى ونواهيه وشكره على نعمه؟

الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَعَةٍ مِّثْلِي وَثَلَّثَ
 وَرَبَّاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لِّشَيْءٍ فَعِيدٌ ① مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا

مُمِيسًا لِّلْعَالَمِينَ وَمَا يُنْمِسُ إِلَّا مُرْسَلًا، مَّرْبُوعِدًا، وَفُؤَالْعَزِيزِ الْمُحْكِمِ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْجِعُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَعْلَمُونَ خَلَقَ اللَّهُ غَيْرَ ذَلِكَ يَزُفُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى
تُوبِكُمْ ﴿٣﴾ [سورة فاطر: 1-3]

الفهم

الشرح:

بالحير : الخالق ابتداء .

أولج أجنتي : ذوي أجنحة .

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما هي الأدلة التي تضمنتها هذه الآيات؟

2 - بم ذكر الله تعالى عباده في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: من أدلة القدرة الإلهية:

افتتح الله سبحانه هذه السورة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ليؤذن بأن صفات عظيمة له سبحانه ستذكر فيها ، وقد أثنى الله تعالى على ذاته بهذا الحمد تعظيماً لنفسه وتعليماً لخلقه بأن يثنوا عليه بذلك ، والألف واللام في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ للاستغراق ، أي: جميع المحامد ثابت له سبحانه .

﴿بَاهِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ «الْفَطْرُ: الابتداء والاختراع . قال ابن عباس: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا ﴿بَاهِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَيُّ أَنَا ابْتَدَأْتُهَا (..)» والمراد بذكر السموات والأرض العالم كله، ونبه بهذا على أن من قدر على الابتداء قادر على الإعادة» [الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: 319/14].

وقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِةَ رُسُلًا﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين في أمر الله.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مِّثْلُ وَثَلَتٍ وَرَبَاعٍ﴾ أي: ذوي أجنحة، والصفات التي بعدها للأجنحة، وهي غير منصرفة، والمانع لها من الصرف العدل والوصف، والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة. ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ الآية تتناول زيادات الصور والمعاني. «قيل: يعني حسن الصوت، وقيل: حسن الوجه، وقيل: حسن الخط، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة، أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لِّشَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو تعالى قادر على ما يريد، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده، ولا يعجزه شيء.

ثانياً: التذكير بنعم الله على عباده:

ذكر الله تعالى عباده بنعمه عليهم، فقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الفتح: عبارة عن العطاء، والإمساك: عبارة عن المنع. والإرسال: الإطلاق بعد المنع، والرحمة كل ما يمن الله به على عباده من خيري الدنيا والآخرة، فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله ﴿وَقَوْلُ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ قوله:

﴿الْعَزِيزُ﴾، أي: «الغالب القادر على الإرسال والإمساك ﴿التَّحَكُّمُ﴾ الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه» [البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 13/9].

فإن قيل: لم أنت الضمير في قوله: ﴿قَلَّ مُمِيسًا لَقَاءُ﴾ وذكره في قوله: ﴿قَلَّ مُرْسَلًا﴾ وكلاهما يعود على ما الشرطية، فالجواب: أنه لما فسر ﴿مِنْ﴾ الأولى بقوله ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ أنه لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير، و﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ فيه حذف مضاف، أي: من بعد إمساكه.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ نداء لقريش، ويعم الناس كافة، للفت انتباههم وإحضار حواسهم، لتلقي الأمر الوارد في قوله تعالى: ﴿اتَّكِرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: «احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليتها» [أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 253/4].

والمراد بـ ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ كل ما أنعم الله به على عباده، مما ذكر في الآيات المتقدمة، إذ مهد لهم الأرض ورفع السماء فوقها لتيسير حياتهم، وأرسل الرسل والأنبياء لبيان السبيل لهم، وفتح لهم أبواب رزقه.

ثم أنكر الله تعالى أن يكون لغيره في ذلك مدخل، فقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ خَالِقُ غَيْرِ اللَّهِ﴾ الاستفهام هنا إنكاري بمعنى النفي، لذلك اقترن ما بعده بـ «من» التي تزداد تأكيد النفي، ورفع ﴿غَيْرُ﴾ على الصفة لخالق بالرفع تبعاً للمحل، وبالخفض تبعاً للفظ. قال القرطبي: «فالرفع من وجهين: أحدهما: بمعنى: هَلْ مِنْ خَالِقٍ إِلَّا اللَّهُ، بمعنى: مَا خَالِقٌ إِلَّا اللَّهُ.

والوجه الثاني: أن يكون نعتا على الموضع؛ لأن المعنى: هَلْ خَالِقٌ غَيْرُ اللَّهِ، و«من» زائدة. والنصب على الاستثناء، والخفض، على اللفظ» [الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 321/14].

وقوله تعالى: ﴿يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات. والمعنى: تذكير الناس بنعم الله تعالى وإقامة الحجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال ابن كثير، أي: «المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق» [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 24/2] ﴿بِأَنِّي تَوَكُّوْٓتُ﴾ قال النسفي، معناه: «فبأي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟» [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 76/3].

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى مقاصد عظيمة، منها:

- بيان جود الله تعالى وكمال إنعامه على عباده بأصناف النعم والأرزاق والأقوات التي أودعها سبحانه في السموات والأرض.

- إثبات وحدانية الله تعالى من خلال وصفه نفسه بالوحدانية والقدرة على خلق السموات والأرض وخلق الملائكة.

- بيان شمول خطاب الله تعالى للناس كافة دون تخصيص أو تقييد.

- أهمية حماية حقوق الناس من كل اعتداء، فلا معطي إلا الله ولا مانع إلا هو سبحانه، ومن هنا يتبين أن الإسلام اهتم بحقوق الإنسان التي هي غاية كل تشريع.

التقويم

- 1 - أستخرج من الآيات أدلة قدرة الله تعالى وعظمته.
- 2 - أستخلص من الآيات آلاء الله سبحانه على عباده.
- 3 - كيف أهتدي بهذه الآيات لتحقيق شكر الله تعالى؟

الاستثمار

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُنَّا لَكَ عَبْدٌ: اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» [صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1 - أستنتج من النص ما يفيد ضمان الله سبحانه لحقوق الناس.
- 2 - كيف يسهم ذلك في تزكية نفسي وتهذيبها؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 4 - 6 من سورة فاطر وأجيب عن الآتي:

- 1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **الْمُؤْمَرُ** - **الْغُرُورُ** - **حِزْبُهُ** - **السَّعِيرُ**.
- 2- أبحث عن الأمور التي حذر الله من الاغترار بها، والغاية من هذا التحذير.